﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٣٢﴾ [الأنعام: 32]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

خسارةُ المكذّبين يومَ البعثِ، وعلاقتُه بإيثارِ الآخرةِ على الدّنيا

لَمّا أعلنَتِ الآيةُ السّابقةُ عن خسارة المكذِّبين بالبعث في اليوم الَّذي أنكروه، جاءتْ هذه الآيةُ الكريمة لتُعطيَ للعباد التَّصوُّرَ الصَّحيحَ الرَّشيدَ عنِ الحياة الدُّنيا والحياةِ الآخرة، فالأولى: لَعِبٌ ولهوٌ لا طائلَ منه، وهي الفانيةُ، والثّانيةُ: خيرٌ للمتَّقين، فهي الباقيةُ، والعاقلُ مَن يعملُ للباقي، ويَتجافَى عنِ الفاني، ثمّ إنّه لمّا قال سبحانه قبْل ذلك على لسان المُنكرين للبعثِ: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ٢٩﴾ [الأنعام: 29] جاء الردُّ هنا بقولِه تعالى: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ﴾ كاشِفاً عن خطلِ تفكيرِهم، وخطأِ نظرِهم، ومبيِّناً حقيقةَ الحياةِ الدّنيا، وأنّ الآخرةَ خيرٌ وأبقى لمنِ اتّقى.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لَعِبٞ﴾: اللَّعِبُ: منَ الفعلِ (لَعِبَ) كسَمِعَ، لَعَبًا ولَعِبًا ولِعْبًا وتَلعابًا، وهو ضدُّ الجِدِّ[1]، "وقد لَعِبَ يلعَب. وتلعَّب: لعب مرّة بعد أخرى، ورَجلٌ تِلعابَة: كثيرُ اللّعِب، والتَّلعاب بالفتح: المصدرُ، وجارية لَعوب، والأُلعوبة: اللَّعِبُ، والمَلعَب: موضعُ اللّعِب، واللُّعبَة بالضّمّ: لعبةُ الشِّطرنج والنَّرد، وكلّ ملعوب به فهو لُعبَة؛ لأنّه اسمٌ، ومنه قولُهم: اقعُدْ حتّى أفرغَ من هذه اللُّعبة"[2]، واللَّعِبُ ضدّ الجِدّ، لَعِبَ لَعِبًا ولِعبًا، ولَعَّبَ وتَلاعَبَ وتَلَعَّبَ، قال امرؤُ القيس:

(1) الفيروزآبادي، القاموس المحيط: (لَعِبَ).
(2) الجوهريّ، الصّحاح: (لَعِبَ).

تَلَعَّبَ باعثٌ بِذِمَّةِ خالِدٍ *** وأَوْدَى عِصامٌ في الخُطوبِ الأوائلِ[1].

2) ﴿وَلَهْوٌ﴾: اللَّهوُ: ما لهَوتَ به وشغلَك، مِن هوًى وطربٍ ونحوِهما، وقولُه ﷻ: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: 11]، قيل: اللَّهوُ: الطّبلُ، وقيل: اللَّهوُ: كلّ ما يُلهَى به، لها لَهْوًا والتَهى وألهاه ذلك[2]، و(لهوٌ) منَ الفعل (لَهَوَ) واللّامُ والهاءُ والحرفُ المعتلُّ، أصلان صحيحان: أحدُهما يَدُلُّ على شُغلٍ عن شيءٍ بشيء، والآخَرُ على نَبْذِ شيءٍ منَ اليد، فالأوَّلُ: اللَّهوُ وهو أنّ كلَّ شيءٍ شَغَلَكَ عن شيءٍ فقد ألهاك، ولَهَوتُ مِنَ اللَّهو، ولَهيتُ عَنِ الشَّيء: إذا تركتُهُ لغيره، والقياسُ واحدٌ، وإنْ تغيَّرَ اللَّفظُ أدنى تغيُّرٍ، ويقولون: إذا استأثرَ اللّه تعالى بشيءٍ فالهَ عنه؛ أي: اترُكْهُ ولا تَشتغلْ به[3]، وتقول: لَهيتُ عنِ الشّيء، ولَهيتُ منه، وآلهَ عن هذا الأمرِ، ومنه قولُ اللّه ﷻ: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ [الأنبياء: 17][4].

❁ المَعْنَى الإجْمَالِيُّ:

الـدُّنـيـا لـعـبٌ ولهوٌ للغافلين، والآخـــرةُ خـيرٌ للمتّقين

هذا إخبارٌ منَ اللّه تعالى عن حقيقة الحياةِ الدُّنيا؛ فإنَّها لَعِبٌ ولَهوٌ، تَنشغِلُ الأبدانُ بها، والقلوبُ لها والِهَةٌ وبها مُعلَّقَةٌ، والاشتغالُ بها كلَعِب الصِّبيان، وأمّا الآخرةُ في ذاتها، وصفاتِها، وبقائِها، ودوامِها، ففيها ما تَشتهيه الأنفسُ، وتلذُّ الأعين منَ النَّعيم المُقيم للأبدان والأرواح، وكثرةِ السُّرور والأفراح، كما قال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الزُّخرف: 71]، ولكنَّها ليستْ إلّا للمتَّقين الَّذين يَلتزمونَ أوامرَ اللّه، ويَجتنبونَ نواهيَه[5].

(1) ابن سيده، المحكم: (لَعِبَ).
(2) ابن سيده، المحكم: (لهو).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (لهو).
(4) الخليل، العين: (لهو).
(5) السَّعديّ، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 209.

❁ الإيضاحُ البلاغيُّ واللُّغويُّ:

معنى الواوِ وعلاقتُه بالقَصْرِ:

من قوانينِ الكونِ المرسّاةِ: (الدّنيا دارُ ممرٍّ، والآخرةُ دارُ مَقرٍّ)

قولُه تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾، أفادَ أسلوبُ القَصرِ بالنّفي مع الاستثناء المبالغةَ في جعْلِ الحياةِ الدُّنيا نَفسَ اللَّعب واللَّهو، ويمكنُ اعتبارُه جوابًا لقولِ المشركينَ السّابقِ: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنعام: 29]، فتكونُ الواو هنا للحال؛ أي: تقولون: إنْ هي إلّا حياتُنا الدُّنيا، والحالُ أنّكم لو تأمَّلتُم حقَّ التَّأمُّل لَعَلمتُم يقينًا أنَّ الحياةَ الدُّنيا لعبٌ ولهوٌ وتفاخرٌ وتكاثرٌ بالعَرَض الزّائلِ، وأنَّ وراءَها حياةً أخرى باقيةً، وهي إمّا العذابُ الشَّديدُ للكافرينَ المُكذِّبين، وإمّا المغفرةُ والرِّضوانُ للمؤمنينَ المُتَّقين، وفي الآيةِ إعادةٌ لدعوتِهم إلى الإيمان والتَّقوى.

قصْرُ الموصوفِ على الصّفةِ:

اللّهوُ واللّعبُ هما غالبُ ما ينشغلُ بهما العمومُ، وتأتي منهما الهمومُ

قولُه تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ صيغةُ قصرٍ لتلك الحياة على اللَّعب واللَّهو، وأداتُها ﴿إِلَّا﴾، وهو قصرُ موصوفٍ على صفةٍ[1]، فهذه الحياةُ الدُّنيا عبارةٌ عن زمنٍ هو وعاءٌ للأحداث، وهي موصوفةٌ بأوصافٍ هي أوصافُ الزَّمنِ الكائنةِ به من طول أو قِصَر، وأوصافٌ جاءتْ في سياق النَّصِّ القرآنيّ، فهي لعبٌ ولهوٌ، وهذان وصفان يَغلِبان سائرَ الأوصاف، وهما مصدرانِ أُريدَ بهما الوصفُ للمبالغة[2]، وقَصرُ الحياة الدّنيا على هاتين الصّفتين لا يخلو من مبالغةٍ؛ لأنّ للحياة الدّنيا أحوالًا أخرى؛ ففيها جِدٌّ، وسعيٌ، وبناءٌ، وعبادةٌ، لكنّ الأسلوبَ اقتصرَ على الصّفتَين اللّتين انشغل بهما الكافرون، وكانتا سببًا لتعلّقهم بالدّنيا، وإنكارِهم البعثَ.

---

(1) القَصرُ: هو أحدُ الأساليبِ البلاغيَّةِ الَّتي يقتضيها المقامُ، ويدعو إليها حالُ المخاطَب: وهو تخصيصُ أمرٍ بأمرٍ بطريقٍ مخصوصٍ، ويُقسَم من حيثُ طرفاهُ إلى قسمَين: قَصرُ موصوف على صفة، وقَصرُ صفةٍ على موصوف، والَّذي في الآية كما هو ظاهرٌ ومبيَّنٌ في المتن من قبيل الأوَّل، ويُقاسُ عليه قولُه تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: 144]؛ حيث قَصَرَ بيانُ الله محمّداً ﷺ على الرِّسالة. فضل عبّاس، أساليب البيان، ص: 168 - 170.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 192 - 194/7.

ملمحُ الاعتراضِ بين الجُملتين، بقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ﴾:

عَـطـفَ جـملـةَ الـبـشـارةِ على حكايةِ النِّذارة؛ لما بينَهما من تناسبٍ بالتّضادّ

يمكنُ اعتبارُ السّياق اعتراضًا في ثنايا حكايةِ حالِهم في الآخرة، فإنَّه لمّا حكى قولَهم: ﴿يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا﴾ [الأنعام: 31] علمَ السّامعُ أنَّ سببَ حَسرتِهم هو تفريطُهم في الأمور النّافعةِ لهم في الآخرة، منَ الإيمانِ والعملِ الصّالحِ، والّذي جرَّهم إلى هذا التَّفريطِ انهماكُهم في زخارف الدُّنيا، وانغماسُهم في مُتَعِها ولَعبها ولهوِها، فجاء بعد ذلك بخطاب المؤمنينَ تعريفًا بقيمةِ تلك الزَّخارفِ والمُلهياتِ، وتبشيرًا لهم بأنَّ الآخرةَ هي دارُ الخيرِ للمؤمنين، وحينئذٍ تكونُ الواو في قولِه تعالى: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ﴾ عاطفةً، عطَفتْ جملةَ البِشارةِ على حكايةِ النِّذارةِ، والمناسبةُ بينهما التَّضادُّ، وفيه كذلك ما فيه من إظهار سخافةِ عقولِ المكذِّبينَ بالبعث إذْ غرَّتهمُ الدُّنيا الفانيةُ، وسوَّلتْ لهمُ الإعراضَ عن دعوة اللّه لهم إلى الحقِّ على لسان رُسلِه، ومنطوقِ كُتبه، لينتهي السّياق بقوله: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾.

دلالةُ (أل) على تعريف الجنْسِ، في ﴿ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ﴾:

الـدّنـيـا سحابٌ خُـلّـبٌ، ومـتـاعٌ لـــمَــن يـلـهـو ويلعبُ

واللّام في ﴿ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ﴾ للتَّعريف، وهو تعريفُ الجنس؛ أي: الحياةُ المعروفةُ الَّتي يحياها كلُّ واحد منَ المخلوقات، والمعروفةُ بالدُّنيا؛ أي: الأولى، والقريبةُ منَ النّاس بوقتِها المضروبِ، وأحوالِها المُقَدَّرةِ بقدَر اللّه وقُدرتِه، "والمعنى: أنّ هذه الحياةَ الدّنيا الّتي قال الكفّار: إنّه لا حياةَ غيرُها - وهي ما يتمتّعون به منَ اللّذّاتِ المقصودةِ عندَهم لذاتها، أو الملهيةِ لهم عن همومِها وأكدارِها - ليست إلّا لعبًا ولهوًا، أو كاللّعبِ واللّهو في عدم استتْباعِها لشيءٍ منَ الفوائد والمنافع، يكونُ في حياةٍ بعدَها، أو هي دائرةٌ بين عملٍ لا يفيدُ في العاقبة - فهو كلعب الأطفال - وبين عملٍ له فائدةٌ عاجلةٌ سلبيّةٌ، كفائدة اللّهو، هو دفعُ الهمومِ والآلامِ"[1].

(1) رضا، المنار: 7/303.

سِرُّ الجمْعِ بين اللّعبِ واللّهو في قوله تعالى: ﴿إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾:

بـين الـلّـعـبِ واللّـهْـوِ عُـمـومٌ وخُـصـوصٌ وَجْهيّ

قولُه تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ وردَ الجمعُ بينَ اللَّعِبِ واللَّهْوِ للعُمومِ والخُصوصِ الوَجْهيِّ بينهما، فهما يجتمعانِ في العملِ الَّذي فيه مُلاءمةٌ، ويُقارِنُه شيءٌ منَ الخِفَّةِ والطَّيْش، كالطَّرَبِ واللَّهْوِ بالنِّساء، وينفردُ اللَّعِبُ في لَعِبِ الصِّبيان، وينفردُ اللَّهْوُ في نَحْوِ المَيْسِرِ والصَّيدِ[1] وللمفارقةِ بين المعنيين فإنّ وجودَ كلٍّ منهما ضروريٌّ لا يستغني عنه السّياقُ وكونُ الحياةِ الدّنيا لعبًا ولهوًا لأنّ الإنسان، حالَ اشتغالِه باللّعب واللّهو، يلتذُّ به، ثمّ عند انقراضِه وانقضائِه، لا يبقى منه إلّا النّدامةُ، فكذلك هذه الحياةُ، لا يبقى عند انقراضها إلّا الحسراتُ والآهاتُ[2].

نُكتةُ تقديمِ اللّعبِ على اللّهوِ، في قولِه تعالى: ﴿إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾:

الخسارةُ غالبًا مـنَ الـلّـعـبِ والـشّـيـاطـينُ تُزيّنُه باللّهو

تقديمُ اللَّعبِ على اللَّهْوِ؛ مردُّهُ إلى أنَّ السّياقَ القرآنيَّ في هذه الآيةِ مكرَّسٌ لبيانِ الخَسارةِ، وهي أكثرُ ما تكونُ منَ اللَّعبِ – وهو فعلُ ما يَزيدُ سُرورَ النَّفْسِ على وجهٍ غيرِ مشروع، وسرعان ما ينقضي – فقدَّمَه لذلك؛ لأنّه سببٌ للغَفْلَةِ عمّا ينفعُ، أمّا اللَّهْوُ فتأخيرُه إشارةٌ إلى أنَّ الجَهَلَةَ، كُلَّما فتَروا في اللَّعِبِ، وهو اشْتغالٌ بالأمورِ السّافلَةِ، والشَّواغِلِ الباطلةِ، بعلوِّ النُّفوسِ، أثاروا الشَّهواتِ بالملاهي[3] لما بينَهما منَ العلائقِ إذْ إنَّ هذا يُعينُ على ذلك ويُحفّز عليه، ولا شكّ أنّ الاختيارَ القرآنيَّ بتقديمِ اللّعب على اللّهو كان سديدًا كما هو دَيدنُه في تقديمِ المفرداتِ وتأخيرِها، وفقًا لمطلوبِ السّياقِ وتأكيدًا على سَعةِ العربيّةِ وثَرائِها.

---

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/193.

(2) القاسميّ، محاسن التّأويل: 4/344.

(3) البقاعي، نظم الدُّرر: 7/93، مع ملاحظة أنّ كلّ الآياتِ في القرآنِ جاءَ فيها اللّعبُ مقدَّمًا على اللّهو إلّا في مَوْضعَيْن: الأوّلُ: في قولِه تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت: 64]. والثّاني في قولِه تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأعراف: 50 - 51].

أثرُ القِراءاتِ القرآنيَّةِ في تَجْلِيَةِ المعنى، في قولِه تعالى: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ﴾:

تـنـوّعُ الـقـراءةِ القرآنيّةِ، يُوسّعُ الدّلالةَ، ويُفتّقُ المعاني

أوّلًا: قولُه تعالى: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ﴾ فيها قراءتانِ مُتواترتان[1]: الأولى: ﴿وَلَلدَّارُ﴾ – بلامَين – لامِ الابتداءِ ولامِ التَّعريف، و﴿ٱلۡأٓخِرَةُ﴾ بالرَّفع، والثّانية: ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ بلام الابتداء فقط، وبإضافة ﴿وَلَدَارُ﴾ مُنَكَّرَةً إلى ﴿ٱلۡأٓخِرَةِ﴾، فهو من إضافة الموصوف إلى الصِّفة، كقولهم: مَسجدُ الجامعِ، أو هو على تقدير مُضافٍ؛ تكونُ الآخرةُ وصفًا له، والتَّقديرُ: دارُ الحياةِ الآخرةِ، والقراءةُ الأولى الّتي عُرِّفت فيها الدّارُ الآخِرَةُ أنسبُ لخطاب المؤمنين؛ لأنّهم آمنوا باليوم الآخر، فالدّارُ الآخرةُ معهودةٌ معروفةٌ لهم، والقراءةُ الثّانيةُ الّتي نُكِّرت فيها ﴿وَلَدَارُ﴾ أنسبُ لخطاب المُنكرين بالآخرة والبعث، وثانيًا: في قوله: ﴿تَعۡقِلُونَ﴾ أيضًا قراءتانِ مُتواترتان[2]: الأولى: بتاء الخطاب ﴿تَعۡقِلُونَ﴾ على طريقة الالتفاتِ. والثّانيةُ: بياءٍ تحتيَّةٍ ﴿يَعۡقِلُونَ﴾، وهو على هذه القراءة عائدٌ لما عادَت إليه ضمائرُ الغَيبة قبْلَه، والاستفهامُ حينئذٍ للتَّعجيبِ من حالِهم بعدَ توبيخِهم، وتقريعِهم على كفرِهم، وإنكارِهم للبعثِ[3].

بيانُ التَّكْنيةِ عنِ القيامة في قولِه تعالى: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ﴾:

الآخـــرةُ خـيرٌ للمتّقين وملاذٌ لـلـمـؤمـنـين الصّادقين

قولُه تعالى: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ﴾، الدّارُ محلُّ إقامةِ النّاس، وهي الأرضُ الّتي فيها بُيوتُ النّاسِ من بناءٍ أوْ خيامٍ أوْ قِباب، والآخرةُ مُؤنَّثُ وصْفِ الآخِرِ – بكسرِ الخاء–، أي: مقرُّ النّاسِ الأخيرِ الّذي لا تَحوُّلَ بعدَه، فهي محلُّ الحياةِ الأُخْرَى والإقامةِ الدّائمة[4]، والتّعبيرُ عنِ الآخرة بالدّار إيحاءٌ بالعمارِ والاستقرارِ بتحصيل قرْبِ

(1) الأولى: قراءةُ العَشَرة إلاّ ابن عامر، والثّانية: قراءةُ ابن عامر السّاميّ، ابن مجاهد، السَّبعة، ص: 256، ابن الجزريّ، النَّشر: 2/290.

(2) الأولى: قراءةُ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم، وأبي جعفر، ويعقوب، والثّانية: قراءة الباقين منَ العَشَرة. ابن الجزريّ، النَّشر: 2/290.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/196.

(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السليم: 2/195، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 7/195.

اللّه الأعلى وتحصيلِ جزائِه الأوفى حيثُ النّعيمُ المقيمُ الّذي لا يحولُ ولا يزولُ.

معنَى لفظِ ﴿خَيۡرٌ﴾ وسِرِّ حذفِ المفضَّلِ عليه:

تفضيلُ الآخرةِ بنعيمِها الدّائمِ المتّصلِ على الدُّنيا بنعيمِها المُنفصلِ

قولُه: ﴿خَيۡرٌ﴾ تفضيلٌ للدّارِ الآخرةِ على الدُّنيا، وحُذِفَ المفضَّلُ عليه للعلْمِ به، أي: ولَلدّارُ الآخرةُ خيرٌ منَ الدُّنيا، وذلك باعْتبارِ أنَّ ما في الدُّنيا نعيمٌ عاجلٌ زائلٌ يلحَقُ مُعظَمَه مُؤاخذةٌ وعذابٌ[1]، ولفظُ ﴿خَيۡرٌ﴾ " يجوز أن يكون للتّفضيلِ، وحُذِفَ المفضَّلُ عليه للعلمِ به، أي: خيرٌ منَ الحياةِ الدّنيا، ويجوزُ أن يكونَ لمجرَّدِ الوَصْف بالخَيْرية، كقولِه تعالى: ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٖ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا﴾ [الفرقان: 24][2].

دلالةُ وجوهِ الأفضليّةِ في خَيراتِ الآخرةِ في قولِه تعالى: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ﴾:

نعيمُ الآخرةِ آسِرٌّ بالإبهارِ مُنزَّهٌ عنِ المُنغِّصاتِ والأضرارِ

لمّا وصَفَ بيانُ اللّهِ الآخرةَ بأنَّها ﴿خَيۡرٞ﴾، دلَّ مع التَّفضيلِ على الدُّنيا على عُمومِ الخيريَّةِ في كلِّ شيءٍ يُستلَذُّ ويُستطابُ، مع الدَّوامِ وعَدَمِ الانْقطاعِ، ومع الخُلوصِ عنِ المَضارِّ، واللَّذّاتُ فيها خالصةٌ لأصحابِها لا يُصيبُها تَنغيصٌ بألمٍ أو نُقصانٍ أو انقطاعٍ وفُقدانٍ، فخَيراتُ الآخرةِ شريفةٌ وخَيْراتُ الدُّنيا خَسيسةٌ[3].

العُدولُ عنِ الاسْمِ الصّريحِ إلى الموصولِ وصلتِه:

أهلُ التّقوَى والخيريّةِ ينالون التّكرمةَ والأفضليّةَ

العُدولُ عنِ الاسمِ الصّريحِ إلى الموصولِ وصِلتِه، في قولِه تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ﴾ للمبالغةِ في وصفِ المتَّقينَ، حيث إنَّ الدّارَ الآخرةَ كانت خيرًا لهم، لا لغيرِهم منَ الكفرةِ فهي وبالٌ عليهم وعذابٌ أليمٌ واللّامُ الدّاخلةُ على الاسم الموصولِ للبيان أي: أعني (للّذين)، وكذا كلُّ ما جاء مِنْ نحوه، نحوَ: ﴿خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤﴾ [الضّحى: 4][4]

(1) السَّمين، الدُّرُّ المصون: 4/601.
(2) السَّمين، الدُّرُّ المصون: 4/601.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السليم: 2/195.
(4) السّمين، الدّرّ المصون: 4/601.

وجملةُ الصّلةِ مُبيّنةٌ لخُلقِ التّقوى ومُظهِرةٌ لمكانةِ أصحابِه ومُظهرةٌ لَلمحيّةِ الأفضليّةِ في الخيريّةِ الّتي قام عليها الموصولُ وصِلتُه في هذا السّياقِ.

دلالةُ المُبالغةِ على التّعريضِ بالمُشركين، والتّنويهِ بالمتّقين:

ما سِوَى التّقوَى لعبٌ زائلٌ، ولَهوٌ باطلٌ

وفي قولِه تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ﴾ تعريضٌ بالمُشركينَ المُكذِّبين بالبعثِ، بأنَّهم صائرونَ إلى الآخرةِ، لكنَّها ليستْ لهم بخيرٍ ممّا كانوا عليه في الدُّنيا، وفي هذا التَّعريضِ تأييسٌ للمُشركين، والآخرةُ خيرٌ للمتَّقين خيرٌ محضٌ، بدخولِ الجنَّة والخلودِ فيها[1]، والمعنى: "﴿لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ﴾ الشّركَ، واللّعبَ، واللّهوَ، أو المعاصيَ، وفيه دليلٌ على أنّ ما سوى أعمالِ المتّقين لعبٌ ولهوٌ"[2]، وأنّ الدّارَ الآخرةَ خيرٌ للَّذين يتَّقونَ؛ لدوامِها، وخُلوصِ منافعِها ولذّاتِها عنِ المضارّ والآلامِ[3].

دلالةُ أسلُوبِ الاحتباكِ، في قولِه تعالى: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ﴾:

حـــالُ أهـــلِ الـدّنـيـا وأهـلِ الآخرة مُتضادٌّ، وبضدِّها تتميّزُ الأشياءُ

لمّا كان التّقديرُ بما أرشدَ إليه المعنى في هذه الآية الكريمة يفيدُ قولَه: (وما الدّار الآخرة إلّا جدٌّ وحضور، وبقاءٌ للأتقياء الأنقياء)، أتبعه قولَه مُؤكّدًا: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ﴾، "ولمّا كان الكلُّ مآلَهم إلى الآخرةِ خَصّصَ، فقال: ﴿لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ﴾؛ أي: يوجِدون التّقوى، وهي الخوفُ منَ اللّه الّذي يحملُ على فعْلِ الطّاعاتِ وترْكِ المعاصي، ليكونَ ذلك وقايةً لهم من غضبِ اللّه، فذكرَ حالَ الدّنيا، وحذفَ نتيجتَها لأهلِها؛ لدلالة ثمرةِ الآخرةِ عليه، وحذفَ ذكرَ حالِ الآخرةِ؛ لدلالة ذكْرِ حالِ الدّنيا عليه، فهو احتباكٌ بليغٌ[4]، ويتحقّقُ الاحتباكُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 195 - 196/7.
(2) القِنَّوجيّ، فتحُ البيان: 4/129.
(3) القاسميّ، محاسن التّأويل: 4/344.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/93.

بدلالةِ ما في أوائلِ السّياقِ على المحذوف من أواخرِه، ودلالةِ ما في أواخره على المحذوفِ من أوائلِه.

نوعُ الاستفهامِ ودلالتُه في سياقِ قولِه تعالى: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾:

أسلوبُ التّوبيخِ أو التّحذيرِ في الآيةِ، في غاية الدّقّةِ والبلاغةِ

الاستفهامُ في قولِه تعالى: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ توبيخيٌّ إنْ كان خطابًا للمُشركين، وتحذيريٌّ إنْ كان خطابًا للمؤمنين، لكنَّ نفيَ التّعقّلِ يرجِّحُ أن يكونَ الخطابُ للمشركين على سبيل الالتفاتِ، وقولُه: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾؛ أي: أفلا تعقلون ذلك؛ حتَّى تتَّقوا ما أنتم عليه منَ الكُفرِ والعِصيانِ؟"، ويُمكنُ أن تكونَ (الفاءُ) معطوفةً على مُقدَّرٍ محذوفٍ؛ أي: (أتَغفُلون فلا تَعقِلون)، أو ألا (تَتفكَّرونَ فتَعقِلون)"[1].

أثرُ أسلُوبِ التّذْييلِ في الدّلالةِ، بقولِه تعالى: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾:

إيثارُ الكافرين الغافلةَ على الباقيةِ دليلٌ على أنّهم لا يعقلُونَ

جاء التّذييلُ في قولِه تعالى: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ﴾، فكان ذلك خطابًا مُستأنَفًا للمؤمنين، تحذيرًا لهم ممّا وقعَ فيه المُكذِّبونَ من غَفلتِهم عنِ الحقِّ، بمُغرياتِ الدُّنيا وصوارفِها عنِ الإيمان بالآخرة، والعملِ لها، وكونُ هذه الجملة حاليةً، هو الأَولى لتكونَ موصولةً بزعمِ المُنكرين، بقولِهم: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ﴾، وهي الآيةُ الواردةُ قبلَ ذلك، فأكّدَ في مخاطبته للعقولِ بأنّ الحياةَ الدّنيا وما يتعلّقُ بها، وبما فيها، من سعيٍ، وأعمالٍ، ومبادراتٍ، وآمالٍ، ما هي "إلّا لعبٌ يشغَلُ النّاسَ، ويُلهيهم بما فيه من منفعةٍ سريعةِ الزّوالِ، ولذّةٍ وشيكةِ الاضمحلال، عمّا يُعقِبُهُمْ منفعةً جليلةً باقيةً، ولذّةً حقيقيةً غيرَ متناهيةٍ منَ الإيمان والعملِ الصّالحِ"، ولكنّهم في غيّهم سادِرون؛ لأنّهم – كما وصفَهمُ السّياقُ – لا يعقلون[2].

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/195.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/126.

دلالةُ تضافُرِ أسلوبَيِ الالْتفاتِ والاستفهامِ:

المـــدلـــولاتُ الكنائيَّةُ تتعدَّدُ، دونَ لُـــزومِ الاشْـــتراكِ؛ لأنّ دَلالتَها إلزاميَّةٌ

قولُه تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، ورد بتاءِ الخطابِ[1] على طريقةِ الالْتفات منَ الغَيبةِ إلى الخطابِ، وقد تصدَّرَ هذا الالْتفاتَ الاسْتفهامُ المصحوبُ بفاءِ العطفِ، على جملةِ: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾؛ لأنَّه يتفرَّعُ عليه مضمونُ الجملةِ المعطوفةِ، ولذلك جاءَ الاستفهامُ تعبيرًا عن عَدَمِ عقْلِهم، مع توجيهِ الخطابِ بالتّاءِ في ﴿تَعْقِلُونَ﴾ لفريقَيْنِ اثْنَيْن: الأوَّلُ للمشركين فيكونُ الاسْتفهامُ توبيخًا لهم، والثّاني للمؤمنينَ فيكونُ تحذيرًا لهم، على أنَّه لما كانَ اسْتعمالُ هذا الخطابِ في أَحَدِ هَذَين على وجه الكنايةِ، صحَّ أنْ يُرادَ منه الأمرانِ باعْتبارِ كلا الفريقَيْن؛ لأنَّ المدلولاتِ الكنائيَّةِ تتعدَّدُ، ولا يلزَمُ من تعدُّدِها الاشْتراكُ؛ لأنَّ دَلالتَها إلزاميَّةٌ، على أنَّه يمكنُ اسْتعمالُ المُشتَرَكِ في مَعْنَيَيْه، وقد حُذفَ مفعولُ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ للعلْمِ به، أي: أفلا تعقلونَ أنَّ الأمرَ كما ذُكِرَ، فتزهدوا في الدُّنيا، أو تعقلوا أنَّ الآخرةَ خيرٌ منَ الدُّنيا[2].

دلالةُ الاستفهامِ على التّبكيتِ والتّوبيخِ، في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾:

العـقـلُ عـنـوانُ التّكريمِ، وميزانُ التّقييمِ

ورد خطابُ هؤلاءِ المُنكرين في قولِه تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، باعتبارِ أنّهم الأَوْلى بهذا التّوبيخِ والتّبكيتِ المفهومِ منَ الاستفهامِ، وهمُ الأَولى بنفيِ التّعقُّلِ عنهم، قال البِقاعيُّ: "ولمّا كان من شأنِ العقلاءِ الإقبالُ على الخيرِ، وتركُ غيرِه، تسبّبَ عن إقبالِهم على الفاني، وتركِهم الباقي، قولُه مُنكرًا: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾"[3]، والإنكارُ عليهم مُبرَّرٌ ومعقولٌ، ذلك أنّ العقولَ الّتي وهبها اللّه لهم، مؤهَّلةٌ لكي تُرشدَهم إلى الحقِّ، وتَهديَهم إلى سواءِ السّبيلِ، وبها تكونُ

(1) وهي قراءة نافع، وابن عامر، وحفص، وأبو جعفر، ويعقوب، وقرأ الباقون من العشرة ﴿أَفَلا يَعْقِلون﴾ بياء تحتيّة، ينظر: ابن الجزري، النشر: 2/257، وهو على هذه القراءة عائدٌ لما عادت إليه ضمائرُ الغَيْبة قبله، والاسْتفهامُ حينئذٍ للتعجيب من حالهم.

(2) السَّمين، الدُّرُّ المصون: 4/601، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 7/195 - 196.

(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/93 - 94.

الموازنةُ بين الدّنيا وغُرورِها، والآخرةِ ونَعيمِها؛ لاختيار ما فيه النّفعُ، ممّا هو باقٍ لا يفنَى، ودائمٌ لا يحولُ.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(اللَّعب) و(اللَّهو):

وضـفُ الـدّنيـا باللّعبِ واللّهوِ، وكلاهُما ضَياعٌ ومَفسدةٌ

توجَدُ فروقٌ دقيقةٌ بين هاتين الكلمتَين، قد يكونُ لعبٌ ليس بلهوٍ؛ لأنَّ اللَّعبَ يكونُ للتَّأديب والتَّدريب، كالرَّمي وركوبِ الخيل وغيرِهما، ولا يُقالُ لذلك: لهوٌ. ولا يكونُ اللَّهوُ إلّا لعبًا، وإنَّما اللَّهوُ لعبٌ لا يَعقُبُ نفعًا، وسُمّيَ لهوًا؛ لأنَّه يُشغِلُ عمّا يُعني، من قولِهم: أَلهاني الشَّيءُ؛ أي: شَغَلَني، ومنه قولُه تعالى: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ [التَّكاثر: 1]، فهو يُشغِلُ الإنسانَ عمّا يُعنيه، وما هو أهمُّ له وأنفعُ. واللَّعِبُ كذلك: طلبُ المَزحِ بما لا يَحسُنُ أن يُطلَبَ به، ومنه اشتُقَّ اللُّعابُ؛ وهو المُرورُ على غير استواءٍ[1]، وحاصلُ ما تقدَّمَ من بيانِ الفروقِ بين الكلمتَين؛ أنَّ البيانَ الإلهيَّ استخدمَ الكلمتَين متجاورَتَيْن؛ لِما لكلٍّ واحدةٍ منهما من خَصيصةٍ تمتازُ بها عن صاحبتِها، فاللّعبُ فعلُ الصّبيان الّذين يُتعبون أنفسَهم جدًّا من غير فائدةٍ، واللَّهوُ فعلُ الشُّبّانِ، والغالبُ أنْ لا يبقَى بعد انقضائِهما إلّا الحسرةُ؛ لذهابِ المالِ والعمرِ وانقضاءِ اللّذّاتِ[2]، والنَّصُّ القرآنيُّ ساقَ لنا تَينِكَ المُفردتَيْن، وحصرَ مفهومَ الحياة الدُّنيا بهما، ليجمَعَ فيه بين السَّوأتَين، فيَنزِلَ باعتبارِها إلى تلكُما الدَّرَكتَين؛ فإنّ مدّةَ اللَّهو واللَّعبِ قليلةٌ سريعةُ الانقضاءِ والزّوالِ، ومدّةُ الحياة كذلك[3].

(1) الجرجانّي، التَّعريفات، ص: 202 - 204، والعسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 469 - 470.
(2) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 29/233.
(3) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 12/200.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العاشر، سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 10 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-62-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 10 : سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-62-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7560922 بتاريخ 2023/12/18م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»